النبر التمييزي في اللغة العربية

ف. عبد الرحيم

ذكر الدكتور عباس علي السوسوة النبر التمييزي عرضاً في بحثه الموسوم « سطوة الشهرة على آراء الباحثين » المنشور في العدد الرابع من المجلد العاشر من مجلة الدراسات اللغوية. قال فيه: « فهناك لغات نبريّة كالإنكليزية تستخدمه (أي النبر) للتمييز الصرفي النحوي، بأن تتحول الصيغة بنبر معيَّن من اسم إلى فعل، أو من اسم إلى صفة، بل إن كلمات معينة تتحول بتغيير المقطع المنبور من معنى معجميّ إلى آخر. وبالطبع ففي العربية نبر لكنه غير تمييزي كما في الإنكليزية . . . » اهـ .

الذي يهمني في هذا التعليق هو إنكار الدكتور السوسوة وجود النبر التمييزي في اللغة العربية.

وقبل أن أتعرض لهذا الموضوع، أرى أنه يستحسن أن أمثل للنبر التمييزي الوارد في اللغة الإنكليزية.

النبر التمييزي هو الذي يميز بين معنيي الكلمة، فيتغير معنى الكلمة بتغير موقع النبر فيها، وهذا كثير في اللغة الإنكليزية. من أمثلة ذلك كلمة record التي تأتي اسماً بمعنى السجلّ، وفعلاً بمعنى سجَّل. يقع فيها النبر بمعنى الاسم على المقطع الأول (re) أما بمعنى الفعل فيقع على المقطع الثاني (cord).

وكذلك الحال في كلمة torment، فتأتي اسماً بمعنى العذاب، وفعلاً بمعنى عَذَّبَ. يقع النبر بمعنى الاسم على المقطع الأول (tor)، وبمعنى الفعل على المقطع الثاني (ment).

هل يقوم النبر بهذه الوظيفة في اللغة العربية؟ الجواب: نعم، ولكن في نطاق ضيق، ومجاله أن تشترك كلمتان مختلفتا الأصل في الصيغة، والعنصر الأول في إحداهما حرف معنى، وفي الأخرى حرف مبنى. ومعلوم أن النبر لا يقع على حرف من حروف المعاني. ومن أمثلة ذلك:

(١) فَسَقَتْ: تكون الكلمة من الفسوق، فالفاء من أصل الكلمة، وحينئذ يقع النبر على المقطع الأول: فَـ.

وتكون من السَّقْي، فالفاء حرف عطف، ولا يقع النبر عليه، فيقع النبر حينئذ على المقطع الثاني: سَـ.

(٢) وَزَنَتْ: تكون من الوزن، فالواو من أصل الكلمة، ويقع النبر حينئذ على المقطع الأول: وَ.

وتكون من الزنى، فالواو واو العطف، ويقع النبر حينئذٍ على المقطع الثاني: زَ.

(٣) لَبَكَتْ: تكون من اللَّبك بمعنى الخلط، فاللام أصلية، ويقع النبر حينئذٍ على المقطع الأول: لَـ.

وتكون من البكاء، واللام زائدة كاللام الداخلة على جواب لو، ويقع النبر حينئذٍ على المقطع الثاني: بَـ.

(٤) كَنَدَا: اسم البلد، والكاف فيها أصلية، فيقع النبر على المقطع الأول: كَـ.

وتوافق هذه الكلمة كلمة «كَنَدًى» في النطق عند الوقف، والكاف فيها ليست من أصل الكلمة، ويقع النبر فيها على المقطع الثاني: نَـ.

وقد يؤدي وقوع النبر في غير موقعه في مثل هذه الكلمات إلى لبس وسوء فهم كما حصل مرّة في حضرة الإمام ابن باز رحمه الله، فقال له أحد مرافقيه مازحاً: «يا فضيلة الشيخ، إن سيارتي تحمل ألف تيس» – وأوقع النبر على المقطع الأول «ألْـ»، فاستغرب الإمام، واستنكر قوله هذا، غير أن الرجل أقسم بالله وأعاد كلامه، ثم شرح قائلاً إنه يقصد أن سيارته تحمل «الفتيس» وهو عصا تغيير السرعة، وهي كلمة فرنسية vitesse بالمعنى نفسه، غير أن النبر فيها يقع على المقطع الثالث: «تيس»، علماً بأن النبر بالعربية الفصحى لا يقع على أداة التعريف، ويقع عليها في لهجات البدو.

وقد يكون النبر في اللغة العربية تمييزياً بمعنى آخر، وهو أنه يحدد هويّة الناطق، فإذا نبر الناطق المقطع الأول من كلمة «هذا» عرفنا أنه من المشرق العربي. أما إذا نبر المقطع الثاني فهو من المغرب العربي.

ف. عبد الرحيم